

مرجعيات الشعر الجاهلي لأيام العرب / الاجتماعية – أنموذجاً

References of Pre-Islamic Poetry From the Arab/social Days - A model

الأستاذ المساعد الدكتور فاتن فاضل كاظم العبيدي
hum.faten.fasal@uobabylon.edu.iq
الباحثة زهراء صادق حسين السلطان
zhrasadqhsynslman@gmail.com
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

Zahraa Sadiq Hussein
Asst. Prof. Dr. Faten Fadhil Kadhim
Department of Arabic language / College of Education for Human Science/
University of Babylon

الخلاصة :

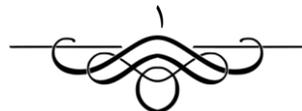
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد..
يهتم شعر العرب بمواضيع متعددة، أهمها شعر البطولة والاعتزاز بالنفس والاهتمام بالشجاعة والقدرة الذاتية، والمهارات العالية في جانب الغارات والقتال والمناورة والمداورة والهروب من أيدي طالبيهم ومطاردتهم. فما تقدم كان لشعر العرب في العصر الجاهلي، اما المرجعيات الاجتماعية فهي متصلة بعادات العرب وتقاليدهم التي تعد مرجعاً اجتماعياً يستقي الشاعر منها شعره كما انهم عالجوا الكثير من معاني المفردات التي اطرقتها في العصر الجاهلي.
ونجد المرأة لها دور كبير وبارز في المجتمع الجاهلي وتعد مرجعاً اجتماعياً في العرب وجزء لا يتجزأ في العرب.
الكلمات المفتاحية : (المرجعيات، العرب، الاجتماعية).

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of all God's creation, Abu Al-Qasim Muhammad, and upon his good and pure family. And after..

Arab poetry is concerned with multiple topics, the most important of which are the poetry of heroism, self-pride, interest in courage and self-ability, and high skills in raids, fighting, maneuvering, and escaping from the hands of those seeking them and pursuing them.

The above was for the poetry of the Arabs in the pre-Islamic era. As for the social references, they are connected to the customs and traditions of the Arabs,



which are considered a social reference from which the poet draws his poetry. They also addressed many of the meanings of the vocabulary that they introduced in the pre-Islamic era.

We find that women have a large and prominent role in pre-Islamic society and are considered a social reference among the Arabs and an integral part of the Arabs.

Keywords:(References, Arab days, Social studies)

المرجعيات الاجتماعية:

تعد المرجعية الاجتماعية واحدة من المرجعيات التي كان لها حضور قوي وواضح في النصوص الأدبية، وذلك لأن الأديب لا يمكنه أن يكتب بعيداً عن مجتمعه الذي نشأ فيه وتعلم منه دروساً في الحياة أكثر من الدروس التي تلقاها في تعليمه بجميع أطواره، لأن الألوان الأدبية " تطرح الكثير من القضايا المجتمعية التي تتعلق بالمجتمع والإنسان والبيئة وتتعلق بالاعراف والعادات والتقاليد، وبالعلاقات الإنسانية والحياة المعيشة...، وهنا تحضر المرجعية الاجتماعية لكي تقدم بعض التفسيرات التي قد ترضاهم بحسب المجتمع وقت تفننها أيضاً "، (١) هذه المرجعية كان لها حضور قوي في دواوين الشعراء وهم وطرحهم للعديد من القضايا التي كانت سائدة في المجتمع العربي على وجه الخصوص وتتمظهر هذه المرجعية في الشخصيات والامكنة والعادات والمؤثرات الداخلية والخارجية (٢).

وتبرز في العرب بعض القضايا الاجتماعية المتصل بعضها بعادات العرب وتقاليدهم والصفات الأخلاقية المقترنة بهم وبمجتمعهم التي تعد مرجعاً اجتماعياً يستقي الشاعر منها شعره محاولاً تناولها ومعالجتها، ومنها:

أولاً: القضايا الاجتماعية : في شعر أيام العرب تبرز قضايا اجتماعية عدة يمكننا عدّها مرجعاً اجتماعياً في هم وأبرزها

(١) مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية ، فهد حسين ، بيت الغشام للصحافة والنشر والترجمة والإعلان ، عمان ، ط ١ ، (د.ت) : ٤٠ .
(٢) ينظر : م . ن : ٤٣ .

١- قضية التفاوت الطبقي:

ينقسم المجتمع القبلي في العصر الجاهلي عصر ما قبل الاسلام إلى ثلاث طبقات اجتماعية هي: طبقة القبيل أو جمهور أبناء القبيلة الصرحاء، وطبقة الموالى الذين اندمجوا. في القبيلة عن طريق الحلف أو الجوار، ومن ثم طبقة العبيد والرقيق

اما طبقة الصرحاء، فهم ابناء القبيلة الذين تربطهم رابطة الدم وهم جمهور القبيلة وعمادها وقوامها ودعامتها. وحمائتها والدفاع عنها وكانوا يلبنون نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة أو مظلومة فإذا سلك أحدهم سلوكاً غير لائق يسيء الى سمعة القبيلة وجلب لها العار نبذته واخرجه منها^(٣) ويعد خليع قبيلته، ويلجأ الى قبيلة أخرى ويعتبر جاراً لها أو مولى من مواليتها، أو يلجأ الى الصحراء ويصبح صعلوكاً من صعاليك العرب أو مغامراً ليتخلص من شقاء الفقر^(٤).

واما طبقة الموالى: فهم ادنى منزلة من طبقة ابناء القبيلة ويدخل فيهم الحلفاء الذين خلعتهم قبيلتهم وفصلتهم عنها وتبرأت منهم لكثرة جنائياتهم والجرائم التي ارتكبوها فدخلوا في قبيلة أخرى على اساس الموالاة بالجوار. وكان هذا الخلق يتم في الاسواق والمحافل كما يدخل فيها الصعاليك المغامرون وهم طائفة أخرى من الخلعاء كالشنفري وتأبط شراً وعروة بن الورد وغيرهم.

اما الطبقة الثالثة طبقة الرقيق : فكانت تؤلف طبقة كبيرة في المجتمع القبلي في الجاهلية مع اختلاف الوانهم بيضاً كانوا ام سوداً، ومعظمهم يشتري في الاسواق وبعضهم يجلب من أسرى الحروب. وكان العدد الاعظم من الرقيق عبيداً سوداً يعرفون بالأحابيش^(٥) يتقدمون من الحبشة أو السودان، ولكن بعضهم. كان من الاسرى في الحروب، روماً كانوا أم فرساً،^(٦) وكان ابناء الإماء البيض من آباء عرب يعرفون بالهجناء أما أبناء الاماء السود، فيطلقون عليهم اغربة العرب، و من هؤلاء عنتر بن شداد.

(٢) ينظر : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص) ، احمد ابراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ : ٣٤ / ١ .

(٤) ينظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعها ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ط٢ ، ١٩٥٦ : ٢٣ .

(٥) ينظر : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، عبد العزيز سالم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٦٧ : ٤٣٧ / ١ .

(٦) م . ن .

لقد صور الشعراء العرب الجاهليون في هم ما كان ينعم به أغنياء غسان والحيرة واليمن، فالنابغة يصور ترف بني غسان، فيصفهم بأنهم يلبسون الثياب المصنوعة من الخز الأحمر شعاع الملوك ويصفهم بالرقّة في اللبس فيقول: (الطويل)

تحبيهم بيض الولائد بينهم وأكسية الإضريح فوق المشاجب (٧)

و تصف الخنساء ثياب قومها في هم في الحرب و السلم فتقول: (المتقارب)

و نلبسُ في الحَرْبِ نَسَجَ الحديدِ ونسحبُ في السلمِ حَزّاً وقَزّاً (٨)

٢- قضية المرأة:

لعبت المرأة العربية لعبت دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي في السلم وفي الحرب وقد حظيت بمكانة كبيرة في المجتمع العربي فلم يجد بعض الملوك بأساً من الانتساب إلى أمهاتهم مثل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وماء السماء لقب أمه ماريه بنت عوف، لقيت به لجمالها (٩) وعمرها ابن المنذر المعروف بعمر بن هند نسبة إلى أمه هند بنت عمرو بن حجر وليس أدل على علو منزلة المرأة كأم من افتخار أبنائها بنسبهم إليها وزهوهم بحريتها، فالشعري الشاعر الصعلوك يعتز بأمه الحرة فيقول: (الطويل)

أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها (١٠)

وكان للمرأة دور في العرب و تعد مرجعا اجتماعيا رئيسياً فيها، فيذكرها عروة ابن الورد بصورة اللائمة فعندما تنهاه عن الخروج للغزو خوفاً من الهلاك يعصيه فيقول: (الطويل)

ارى أمّ حسان، الغداة، تلوّمني تخوفني الأعداء، والنفس أخوف

(٧) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق، حنا نصر الحتي، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩١م: ٣٤، الولائد: جمع وليدة، وهي الامة الشابة الفتية. الاضريح: هو الخز الأحمر والاصفر، المشاجب: هي اعواد تعلق عليها الثياب.

(٨) ديوان الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية من بني سليم (ت ٢٤هـ)، تح، ابراهيم عوضين، الناشر، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥م: ١٩٩، الخز: من الثياب ما نسج من الصوف والحريز، القز: هو الحريز خاصة.

(٩) ينظر: تاريخ الامم والملوك، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، طبعة ليدن، ١٨٨١ - ١٨٨٢، قسم ٢: ١ / ٩٠٠.

(١٠) ديوان الشعري، عمرو بن مالك (ت ٧٠ ق هـ)، اعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٦م: ٦٨، الحجر: قبيلة بعينها، يقصد قبيلته الاواس بن الحجر.

لعل الذي خوفتنا من أماننا يصادفُه، في أهله، المتخلفُ

فإني لمستافُ البلاد بُسريةٍ فمبلغُ نفسي عُذرها، أو مطوّف (١١)

والمرأة الحبيبة يجد فيها الشاعر الجاهلي المثل الاعلى فيتوجه اليها بأغانيه وايامه حتى في اوقات الحرب الحرجة وتبرز في ايامه فيرسم عنتره معاناته في ساعة المعركة لحبيته عبلة فيقول : (الكامل)

يا عبْلُ كم من غمرةٍ باشرْتُها بالنفس ما كادتْ لعمركِ تنجلي

فيها لوامعُ لو شهدتْ زهاءها لسلوتِ بعد تحضّبِ وتكحلِ

إما تريني قد نخلتْ ومن يكن غرضاً لأطرافِ الأسنّةِ ينحل (١٢)

وقد شكلت الاسرة مرجعاً اجتماعياً في العرب فكان بعض فرسان المعارك يذكرون بناتهم، على الرغم من ان العرب كانوا يفضلون البنين على البنات فذلك امر طبيعي في المجتمع القبلي لأنه يقوم على العصبية والنسب زيادة على اعتماد العرب على الذكور في الصيد والغزو والحروب الى جانب المحافظة على النسب، فانجاب البنين والميل له واضح في المجتمع العربي وخاصة في البادية والريف. الا ان الكثير من العرب يعطفون على بناتهم لضعف الفتاة وحنانها على ابيها. فيذكر ان معن بن أوس الشاعر كانت له ثلاث بنات يحسن صحبتهن وكان يرى ان البنات اكثر وفاء من الصبيان على الآباء فيقول : (الطويل)

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالحُ

وفيهن والأيام يعثرن بالفتى عوائد لا يمللنه و نوائح (١٣)

وكانت المرأة في العرب تحت الرجال على الحفاظ على القبيلة، فهذه هند بنت النعمان بن المنذر عندما حارب قومها كسرى وجنوده اخذت تحت اخاها قائلة : (الكامل)

حافظ على النسبِ النفيسِ الارفعِ بمدججين مع الرماحِ الشرعِ

(١١) ديوان عروة بن الورد ، تح ، اسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م : ٨٧ ، ، إني لمستاف : أي سالك بعدها ، السربة ، جماعة الخيل ما بين العشرين الى الثلاثين .

(١٢) ديوان عنتره ، تح ، عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، طبع ، القاهرة : ١٢١ ، اللوامع : السيوف ، زهاءها : أي قدرها وعددها .

(١٣) ينظر : الاغاني ، ابي الفرج الاصفهاني : ٣٤٧ / ١ .

وَصَوَارِمَ هِنْدِيَّةٍ مَصْقُولَةٍ بِسَوَاعِدٍ مَوْصُولَةٍ لَمْ تَمْنَعِ (١٤)

والى جانب ذلك ايضا نجدها تفرع الدفوف للحث على التناحر ومواصلة القتال. فكانت
كرمة بن ضلع ام مالك بن زيد، تثير نفوس قومها منشدة : (مجزوء الرجز)

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

مشى القطى البارق المسك في المفارق

والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق

او تدبروا نفارق فراق غير وامق

عرس المولى طالق والعار منه لاحق (١٥)

وفي العرب نجدها تشارك القبيلة اعيادها واحزانها وترثي ابطالها ومشاركتها في
الاحلاف فتجلى في ها فصاحتها وشدة اخلاصها، تقول اميمة بنت عبد شمس وهي ترثي ابن
اختها ابي سفيان بن امية ومن قتل من قومها في حرب الفجار :

(مجزوء الوافر)

الا يا عينُ فابكيهم بدمع منكٍ مُستغرب

فإن أبكي فُهم عزّي وهم رُكني وهم منكب

وهم أصلي وهم فرعي وهم نسبي اذا أنسب

وهم مجدي وهم شرفي وهم حصني اذا أنسب

وهم رمحي وهم تُرسي وهم سيفي اذا أغضب (١٦)

وتشارك المرأة للاحداث الكبيرة التي كان لها اثرها في حياة العرب مثل حذام بنت الريان
بالفصل في قضايا النساء، وقضايا القبائل في حذام : (الوافر)

(١٤) شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام، بشير يموت، عني بطبعه ونشره، محمد جمال، المكتبة الاهلية
في بيروت، المطبعة الوطنية، بيروت، ط١، ١٩٣٤م : ٢٣ .

(١٥) مجموع ايام العرب في الجاهلية والاسلام، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ط١، ٢٠٠٢م : ١٥٩، القطى البارق : صغار القطى الحائرة الفرعة، الوامق : المحب .

(١٦) ينظر : الاغاني، ابي فرج الاصفهاني : ١٩ / ٨٢ .

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام (١٧)

أما تقاليد العرب وعاداتهم في الزواج في المجتمع الجاهلي هو ان يتقدم الرجل الى كبير العشيرة يطلب يد فتاة من بناتها بما يرغب من صفات^(١٨)، فكان ذلك بارزاً في العرب ومن حرية المرأة وموافقها على الزواج نجد هند كانت قد طلبت من أبيها الا يوافق على زواجها قبل ان يعرض الامر عليها ويأخذ موافقتها قائلة : (يا أبت لا تزوجني من أحد حتى تعرض عليّ أمره وتبين لي خصاله) فلما تقدم كل من سهيل وابي سفيان لخطبتها، دخل عليها ابوها وقال لها : (الطويل)

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يعاش بفضله وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أعز سميدع
فدونك فأختارى، فأنت بصيرة ولا تخدعى إن المخادع يخدع

ومن العادات والتقاليد التي كان المجتمع الجاهلي يخضع لها وتشكل جزءاً من العرب ولا يمكن للمجتمع الخروج منها حتى تعد مرجعاً اجتماعياً لهم عادة سبي النساء، اذ نجد المرأة ودورها في المجتمع و المشكلات التي تواجهها في حياتها حاضرة في الشعر العربي عامة وفي شعر أيام العرب بشكل خاص لان المرأة تمثل الركيزة الاساسية في المجتمع وذكر خصالها وشخصيتها تضغط على شخصية الشاعر نفسه وتدفعه لذكرها فتشكل مرجعاً اجتماعياً في شعره. وفي الأيام التي قامت بين بكر وتغلب وقتل كليب اخو الفارس الشاعر المشهور مهلهل يصف الشاعر سماعه صياح النساء وعويلهن عند مصرع من كان يعولهن بقوله : (الكامل)

كُنَّا نغَارُ على العواتق أن ترى بالأمس خارجةً عن الاوطان (١٩)

والأخذ بالثأر عادة اجتماعية أخرى سادت في المجتمع الجاهلي واشعاره بشكل عام وشعر أيام العرب بشكل خاص، وشكلت مرجعاً اجتماعياً فيهم ومن ذلك ثأر المهلهل بن ربيعة لقتل اخيه كليب فشمز ذراعيه وجمع اطراف قومه وقطع عهدا على نفسه الا يهتم بلهو، ولا يشم طيباً ولا

(١٧) ينظر : م . ن : ٢ / ١٠١ .

(١٨) ينظر : العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي : ٣ / ٢٧٤ .

(١٩) ديوان المهلهل بن ربيعة ، تح ، انطوان محسن القوال ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ م : ٨٦ .

يشرب الخمر وان يهجر النساء الغانيات حتى يقتل كل من كليب ورجالها، فأقسم امام قبر اخيه قائلاً : (الوافر)

حُذِ الْعَهْدَ الْاَكِيدَ عَلَيَّ عُمري
وَهَجري الْغَانِيَاتِ وَشُرْبِ كَاسِ
وَأَسْتُ بِخَالِعِ دِرْعِي وَسَيْفِي
وَالأَّ أَنْ تَبِيدَ سَرَاةَ بَكْرِ
بِتَرْكِي كُلِّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
وَأُنْسِي جُبَّةً لَا تُسْتَعَارُ
الِي أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ
فلا يبقی لها أبداً أثارُ (٢٠)

فالأخذ بالثأر عادة استحكمت في نفوس الجاهليين الى حد بعيد الى درجة أن أصبحت عقيدة ينبغي على الشخص القيام بها وإلا لحقت به اللعنة، ونال شتيمة الدهر، وسبة الأبد أذ " كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر، فهو شريعتهم المقدسة وهي شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية، إذ كانوا يحومون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتى يثاروا من غرماهم " (٢١).

ومن ناحية اخرى فقد وجد في أيام العرب من يميل الى السلم دون الحرب ويحث على ذلك ومن ذلك ما ذكر من انه قام سنان بن ابي حارثة فأوغر صدر حذيفة ابن بدر على الحرب وعدم المساومة فلما علم قيس بن زهير بذلك قال : (الطويل)

يود سنان لو يحارب قومنا
يدبُّ ولا يخفى ليفسد بيننا
فيا ابني بغيضٍ راجعا السلم تسلما
وان سبيل الحربِ وعزُّ مُضَلَّةُ
وفي الحرب تمزيق الجماعة والأزلُّ
دبيباً كما دبّت الى حجرها النملُ
ولا تشمتا الأعداء يفترق الشملُ
وان سبيل السلم آمنة سهلُ (٢٢)

لقد كانت المرأة بارزة بشكل كبير في العرب حتى شكلت مرجعا اجتماعيا مهما وجزءا لا يتجزأ من العرب.

(٢٠) ديوان المهلهل بن ربعة : ٣٢ ، عمري : أي ما دمت حيا ، طول عمري ، الغانيات : الحسان اللواتي هن بغنى عن الزينة لجمالهن ، جبة لا تستعار : أي الدرع ، سراة القوم : كبارهم - وجهائهم. يقول انه لن يتوقف عن القتال الا بعد ان يقضي على وجهاء بكر فلا يبقى لهم أي اثر .

(٢١) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، الناشر ، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط ١١ ، ١٩٦٠ ، ٦٢ .

(٢٢) شعر قيس بن زهير ، عادل جاسم البياتي ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، بغداد ، (د.ط) ، ١٩٧٢ م : ٢٤ ، الازل ، الضيق والشدة ، بغيض يريد بهما عيس وذبيان ابني بغيض .

٢- القيم الاخلاقية :

هي مجموعة القواعد، التي تحدد للانسان ما ينبغي ان يكون عليه في سلوكه، تجاه الاخرين (من طبيعة ومجتمع) يكتسبها الانسان من أئتمائه الى مجتمع معين، كما يكتسبها المجتمع من مصادر متعددة (مطلقة كالدين أو نسبية كالعرف الاجتماعي أو العقل....^(٢٣))، فالاخلاق هي العلم الذي يحكم على مثل هذا السلوك بالصواب أو الخطأ، بالصلاح وضده^(٢٤)، فهي علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في اعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي عمله^(٢٥)، والاخلاق هيئة راسخة في النفس الانسانية تقوم باصدار الافعال الجميلة عقلاً وشرعاً فسميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، واذا كانت صادرة افعال قبيحة سميت هذه الهيئة خلقاً سيئاً^(٢٦).

والقيم الاخلاقية تعني التزام الفرد بما تمليه عليه عقيدته. أيا كان نوع هذه العقيدة، وبناءً على ذلك يمكن للفرد ان يحقق العديد من المكاسب، أهمها تحقيق الذات وراحة البال، والأمن والطمأنينة والراحة النفسية، ولا يحس بهذه المكاسب ولا يعرفهم الا من يفقدها^(٢٧).

وللأخلاق الفاضلة أهمية عظيمة في حياة الانسان له ولمجتمعه، ذلك أنه بهذه الاخلاق يعيش حياته السعيدة في الدنيا ويصير الى حياة اسعد في الآخرة، وبدونها يصبح الانسان عديم الخير والفائدة، كثير الشر والضرر^(٢٨).

و يزخر الشعر الجاهلي بنماذج طيبة أسست لأهمية الالتزام بهذه المبادئ لأنها تعبد الطريق لاستقرار الفرد ورفاهيته و كان لعرب الجاهلية القدر الكبير من الرفعة والعلو والمكانة السامية، ومكارم الاخلاق التي تحلوا بها لذلك نجد بعضا من مكارم الاخلاق بارزة في الشعر

(٢٣) ينظر : القيم الاخلاقية في الشعر العربي الجاهلي ، انتصار مهدي عبد الله ، رسالة دكتوراه ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٨ م : ٧

(٢٤) مقدمة في علم الاخلاق ، وليام ليلي ، ترجمة وتقديم وتعليق ، علي عبد المعطى محمد ، الناشر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (د . ط) ، ٢٠٠٠ : ٢٦ .

(٢٥) القيم الاخلاقية في الشعر العربي الجاهلي : ٤

(٢٦) ينظر : احياء علوم الدين ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) : ٧٦ .

(٢٧) كتاب الاخلاق ، أحمد امين ، الناشر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، ٢٠١٧ : ٩ .

(٢٨) ينظر : الاخلاق الفاضلة وطرق اكتسابها ، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي (١٤٢٩ هـ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ٢٠٠٨ م : ٥ .

الجاهلي عامة وفي العرب بوجه خاص فالرجل الجاهلي ولد على الفطرة السليمة ونشأ وترعرع عليها فهدته الى القيم الطيبة التي برزت في شعره ومن ابرزها :- العفة من أهم المبادئ التي تحلى بها الرجل الجاهلي، وهي من الآليات التي اتسم بها الانسان فلخصها السموأل بن عاديا في قوله : (الطويل)

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل (٢٩)

أي عليه سحب الغبار عن هذه الدرر النفسية التي جادت بها القرائح في العصر الجاهلي قبل أن يشرق نور الاسلام فكان مصدر الهامهم هو الفطرة السوية وما توارثوه من بقايا الشرائع السماوية ؛ والهدف من ذلك حتى تتعرف النفوس الطرية على النفوس الثمينة التي شكلت منظومة الثقافة في العصر الجاهلي، اما الصفات الخلقية التي يعتز بها العربي وتعد ابرز خصلة يتميز بها عن غيره في اشعاره عامة وفي اشعار ايام العرب خاصة حتى تشكل مرجعاً اجتماعياً صفتي الكرم والشجاعة.

١- الشجاعة:

تعد الشجاعة من الصفات الخلقية الاساس، التي إذا اجتمعت مع العقل والعدل والعفة، كونت ركائز المديح والثناء عند العربي (٣٠). وإذا تقصينا حياة العربي وجدنا ان الشجاعة تولد معه، وتدب في نفسه، ولا عجب في ذلك، فهو يعيش في بيئة تتطلب الشجاعة والبأس، وحسن البلاء، في حماية الذمار، والأخذ بالثأر (٣١).

وقد عرف العرب بشجاعتهم، واقدامهم في مواجهة الخطوب، انسجاماً مع طبيعة البيئة القاسية، التي نمت روح الشجاعة لديهم، فحياتهم قائمة على الحرب والسلب والنهب والكر والفر، ومن ثم فان الشجاعة ركن اساس من اركان حياتهم فالكلمة للسيف و" من كان سيفه أمضي واقوى، كانت له الكلمة" (٣٢)، والهيمنة والسطوة.

وتبرز الشجاعة في أيام العرب صفة تخلق بها الفرسان فشكلت مرجعاً اجتماعياً في اشعارهم ومن ذلك قول ليلى الأخيلية تصف فارساً شجاعاً في ه : (الطويل)

(٢٩) ديوان السموأل (ت ٣٠ ق . هـ) ، تح ، عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ، مطبعة المناهل ، (د . ط) ، ٤٣ : ١٩٥١ .

(٣٠) ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، تح، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط ١٩٤٨م : ٥٩ .

(٣١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، احمد محمد الحوفي : ٣٣١ .

(٣٢) الفروسية في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٤م : ٥٠ .

تراه اذا ما الموت حلّ بورده
ضروبا على أقرانه بالصفائح
شجاع لدى الهيجاء ثبتّ مشايح
إذا انحاز عن أقرانه كلُّ سابح
فعاش حميدا لا ذميما فعاله
وصولا لقرباه يُرى غير كالح (٣٣)

هنا توضح الشاعرة الشجاعة والبأس التي يسمو بها الفرد على اقرانه، من خلال مواقف تتخذ، واعمالا تبرز في ساحة القتال (ضروبا، شجاع، ثبت) فهذه سمات لا تخرج عن المثل التي سنها الجاهليون (٣٤)، وشجعوا على التزامها، والحرص على استمرارها، بوصفها مثالا يحتذى.

٢- الكرم :

الكرم صفة اخلاقية عند الانسان العربي تدل على مساعدة الفرد لأخيه من دون محاسبة فالكرم يشمل القضايا التي ترد وتلك التي لا ترد فالكرم العربي يدل على ان صاحبه لا ينتظر الرد بل هو عطاء من أجل العطاء. وقد برزت هذه الصفة في العرب مقرونة بالتحدي مع غيرها من الفضائل تحدي بواعث الموت والهلاك وغرائز الحياة بشكل واضح (٣٥)، زيادة على ان الكرم العربي القديم كرم مادي يهدف الى تأمين المستقبل والادخار ليعلم الناس ان المال غاد ورائح و ليس نابعاً من القلب (٣٦)

فقد امتدح الشاعر العربي منذ القدم الكرم لا سيما في العرب " فصورة الكرم والنجدة في الشعر مقرونة - دائماً - بتحدي بواعث الموت والهلاك. هذا واضح في الكرم وضوحه في النجدة والشجاعة ولذلك فالوصف الدقيق للبذل ليس هو الكرم والشجاعة، وانما هو موقف خاص إزاء بواعث حفظ الذات وتحدي غرائز الحياة بشكل واضح " (٣٧).

فالكرم في شعر أيام العرب وسيلة من وسائل البقاء لأتبات النفس وتحقيق الوجود وبقاء الذكر بعد الموت وخلود صاحبه، ونجد الكرم في شعر طرفة بعد تصويره لنحر الناقة : (الطويل)

(٣٣) ديوان ليلى الأخيلية (ت ٨٠هـ)، ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الاخيلي من بني عامر، جمع وتحقيق وشرح، خليل ابراهيم العطية، دار الجمهورية، بغداد، ط ٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م : ٦٢، الصفائح : السيوف، مشايح : مقاتل، الكالج : العابيس .

(٣٤) ينظر : الفروسية في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي : ٨٨ - ٨٩ .

(٣٥) ينظر : دراسة الادب العربي، مصطفى ناصف، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣، ١٩٨٣ : ٢٩٢ .

(٣٦) ينظر : الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة : ٢٣٦ .

(٣٧) دراسة الادب العربي، مصطفى ناصف : ٢٩٢ .

فَأَنْ مِتُّ فَأَنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبَدٍ (٣٨)

لقد شكل الكرم بوصفه قيمة خلقية وصفة مميزة مرجعاً اجتماعياً بارزاً في العرب.

٣- العفة:

تعد من مكارم الاخلاق ومن المعاني الجميلة التي جادت قريحة الشاعر الجاهلي، والعفة من المفردات الشريفة التي يعلو اسمها على مر العصور، لما لها من اهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع. والعفة سر نجاح الانسان وتفوقه وتمييزه، في محاور الحياة جميعها واذا غابت العفة في اي مجتمع من المجتمعات اطلت الرذيلة براسها، ومتى ما عم الفساد اضطربت الحياة وقت تنتفي اسباب الحياة الحرة الكريمة، التي ينشدها كل انسان وهنا تزعزع النفس البشرية وتغد راحة البال وتطل السلبيات والآفات الاجتماعية وتتعاون كل هذه السلبيات لتؤدي الى تدمير الفرد والمجتمع، لان البيئة اصبحت بيئة سيئة انها بيئة طاردة للقيم والمبادئ فضلا عن الحياة القاسية لكسب العيش، واي بيئة تتصف بهذه الصفة لا تصلح ان تكون بيئة صالحة يعيش فيها الانسان لأنها تفتقد الى بعض مقومات الحياة كما تؤثر على نفسية الفرد وعلى تفكيره.

والعفة تعني الترفع عن دنياات الدنيا وعن كل ما يتنافى مع عقيدة الفرد فهي " عَفٌّ عن الحرام، والعفة الكفُّ عما لا يحلُّ " (٣٩)، وهي صفة خلقية شاعت في العرب حتى شكلت مرجعاً اجتماعياً لأغلبها.

ونلاحظ في تاريخ التراث الادبي اكثر من تحلى بالعفة هم الشعراء الصعاليك وهم شريحة تمردت على منظومة قوانين مجتمعهم، لكن فلسفتهم سامية وانتهجوا نهجاً غايتة تحقيق العدل والمساواة بين افراد المجتمع، فلم يكن همهم النهب لذاته بل كان من اجل الفقراء والضعفاء.

لقد كان للعفة دورها في صقل سلوك العربي وتهذيبه وتعويده على القيم والفضائل الحميدة، لذا كونت مرجعاً اجتماعياً بيئياً في شعره.

٤ - الوفاء بالعهد:

الوفاء بالعهد من مظاهر إقدام العربي وعدم ترده سواء أكان هذا الوعد مع شخص مات ام ما زال حياً، وسواء كان هذا مع عدو أو صديق والوعد هو احترام الكلمة وعدم التراجع أو التردد فيما أخذه العربي على نفسه فقد كان العربي يتمسك بالكلمة الى درجة التقديس، وكان

(٣٨) ديوان طرفة بن العبد : ٣٧ .

(٣٩) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١هـ) : ٩ / ٢٥٣ .

الوفاء بالعهد مظهراً للشجاعة والقوة فالشجاع هو الصريح الذي لا يخشى أحداً ولا ينكث وعداً (٤٠).

وكان العرب في جاهليتهم لا يقدرّون شيئاً كتقديرهم الوفاء فإذا وعد أحدهم أوفى بوعده وأوفت معه قبيلته حتى ولو كلفه ذلك اعز ما يملك من متاع الدنيا (٤١).

والوفاء صفة عرف بها عرب ما قبل الإسلام وشعراء أيامهم واشتهروا بها حتى كانت مرجعاً اجتماعياً في أشعارهم فقد عرفوا بالوفاء بالعهود، وبكراهية النكث والغدر وضربوا المثل في الوفاء بالسموأل الذي أبى أن يسلم الحارث بن أبي شمر الغساني دروع امرئ القيس التي أودعها عنده، وتحصن في قصره بتيماء فهده الحارث بقتل ابن له فلم يزد على ذلك سموأل إلا إصراراً فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف وفي ذلك يقول سموأل: (الوافر)

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما دُمّ أقوامٌ وفيتُ (٤٢)

ونجد مثل ذلك في قصة وفاء هاني بن مسعود الشيباني لودائع النعمان معروفة وكان وفاؤه قيام الحرب بين العرب والفرس في ذي قار وهم فيها وغيرهم من عرب الجاهلية (٤٣).

وقد تسابق الشعراء في هذا الميدان، يقول عامر بن الطفيل: (الطويل)

وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إبعادي وأنجز موعدي (٤٤)

وان الوفاء يرتبط بشجاعة العربي فكان العربي يحرص على الوفاء وكان بالمقابل يخشى أن يوصف بالغدر الذي يسبب له العزلة إذ " كان العربي يخشى أن يعرف بالغدر وتشيع عنه هذه الخلة بين قومه وبين سواهم من القبائل لأن الغدر ونقض العهد وإخلاف الوعد يجعله رجلاً لا يعتمد عليه في النائبات فيهمله قومه، ويتحاشاه طلاب الغوث والنجدة وينفر منه اعداؤه وأصدقائه وهيئات لرجل يتصف بهذه الصفة وتكون حاله كما ذكرت أن يئبه اسمه أو يكون من ذوي الرأي والجاه في قبيلته وهو ما يحرص عليه كل ذي مروءة " (٤٥).

(٤٠) ينظر: الفتوة عند العرب، عمر الدسوقي: ١١٥.

(٤١) ينظر: العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ٦٩.

(٤٢) ديوان سموأل بن عادي، شرحه وضبط نصوصه وقدم له، عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م: ١١.

(٤٣) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ)، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٩٧١م: ١ / ١٣٠.

(٤٤) ديوان عامر بن الطفيل (١٠هـ - ٦٣١م)، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٩٧٩م: ٥٨.

(٤٥) الفتوة عند العرب، عمر الدسوقي: ١١٧.

مما سبق نجد ان الانسان ما قبل الاسلام كان يتصف بجملة من الفضائل والقيم وفي مقدمتها الكرم العربي والشجاعة ثم العفة و الوفاء بالعهد، فكانت أشعار العرب تشيع فيها هذه الصفات الخلقية اكثر من غيرها.

لقد رجع شعراء أشعار العرب الى مجتمعهم ينهلون منه ويستمدون هم من طبيعته، فكانت اشعارهم صورة للمجتمع الجاهلي والواقع الذي يعيشونه فلم تشتمل ايامهم على صور الحرب والمعارك التي خاضوها فحسب بل نجد المرجعيات الاجتماعية احدى المكونات الثقافية التي ينهل منها الشاعر الجاهلي لذلك برزت بعض قضاياها واخلاقه فيه.

الخاتمة :

لقد تبين لنا بعد هذه الرحلة مع الشعراء الجاهليين أنهم ليسوا بمعارضين لنظام القبيلة وأعرافها المادية والفكرية، وإنما كانوا يعارضون النظام القبلي معارضة فنية، كما و تضمنت الفاظهم الغزيرة التي أوحى بها الصحراء ومظاهرها وطبيعة الحياة فيها .

وجاءت المرجعيات الاجتماعية في شعر شعراء أيام العرب متضمنة الواقع المعيش للمجتمع في عصر الشاعر، الذي حاول أن يتخذ من معاناته مثالا يحتذى به في شكواه من الفقر، والجوع، وكثرة الحروب، التي هزت من كيان المجتمع العربي في ذلك العصر، إلا أنه اتخذ من ذاته مثالا يشير به إلى العامة التي تعاني مما يعانيه الشاعر، فأظهار الأنا في شعره مثل تحولا في ثنايا الآخر الذي انعكست عليه القضايا الاجتماعية، فانتقل من الخاص إلى العام ليعطي صورة لعصره، ويوثق المعاناة التي لاحقت المجتمع.

فالشعر الجاهلي بوصفه فن القول السائد في حياة العرب في الجاهلية ورغم قدمه، فإنه يبقى تراثاً انسانياً خالداً في الثقافة العربية، خاصة أنه مثل أهم مكوناتها الثقافية والرمزية ولا يزال يردد ويحفظ الى حد الآن.

المصادر والمراجع :

١. احياء علوم الدين ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د

ط) ، (د . ت) .

٢. الاخلاق الفاضلة وطرق اكتسابها ، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي (١٤٢٩هـ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط ٢ ، ٢٠٠٨م.
٣. الاغاني، ابي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ - ٩٧٦م)، تح، احسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م.
٤. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، محمود شكري الالوسي(ت ١٣٤٢هـ) ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٩٧١ م .
٥. تاريخ الامم والملوك ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، طبعة ليدن ، ١٨٨١ - ١٨٨٢ .
٦. تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، عبد العزيز سالم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٦٧ .
٧. الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعها ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ط ٢ ، ١٩٥٦ .
٨. الحياة العربية من الشعر الجاهلي، احمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٢ .
٩. دراسة الادب العربي ، مصطفى ناصف ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٩٨٣ .
١٠. ديوان الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية من بني سليم (ت ٢٤هـ) ، تح ، ابراهيم عوضين، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
١١. ديوان السمؤال بن عاديا، شرحه وضبط نصوصه وقدم له، عمر فاروق الطباع، شركة دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧ م.
١٢. ديوان السمؤال(ت ٣٠ ق . هـ) ، تح ، عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ، مطبعة المناهل ، (د . ط) ، ١٩٥١ .

١٣. ديوان الشنفرى ، عمرو بن مالك (ت ٧٠ ق هـ) ، اعداد وتقديم : طلال حرب ، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
١٤. ديوان المهلهل بن ربيعة ، تح ، انطوان محسن القوال ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
١٥. ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق ، حنا نصر الحتي ، الناشر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
١٦. ديوان طرفة بن العبد (ت ٦٠ ق. هـ) ، شرح الاعلم الشنتمري ، تح ، درية الخطيب ، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، إدارة الثقافة والفنون ، دولة البحرين ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ .
١٧. ديوان عامر بن الطفيل (١٠هـ — ٦٣١م) ، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د. ط) ، ١٩٧٩ م .
١٨. ديوان عروة بن الورد ، تح : اسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
١٩. ديوان عنتر ، تح ، عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، طبع ، القاهرة .
٢٠. ديوان ليلي الأخيلية (ت ٨٠هـ) ، ليلي بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الاخيلي من بني عامر ، جمع وتحقيق وشرح : خليل ابراهيم العطية ، دار الجمهورية ، بغداد ، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م .
٢١. شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، بشير يموت ، عني بطبعه ونشره ، محمد جمال ، المكتبة الاهلية في بيروت ، المطبعة الوطنية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٣٤ م .
٢٢. الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
٢٣. شعر قيس بن زهير ، عادل جاسم البياتي ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، بغداد ، (د. ط) ، ١٩٧٢ م .

٢٤. العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، الناشر ، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط١١ ، ١٩٦٠ .
٢٥. العقد الفريد، احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (٣٢٨ هـ—)، تح، عبدالمجيد الرحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣ م.
٢٦. الفتوة عند العرب او احاديث الفروسية والمثل العليا، عمر الدسوقي . مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٥١ .
٢٧. الفروسية في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٤ م.
٢٨. كتاب الاخلاق ، أحمد امين ،الناشر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، ٢٠١٧ .
٢٩. لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ). دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
٣٠. مجموع العرب في الجاهلية والاسلام ، ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
٣١. مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية ، فهد حسين ، بيت الغشام للصحافة والنشر والترجمة والاعلان ، عمان ، ط١ ، (د . ت) .
٣٢. مقدمة في علم الاخلاق ، وليام ليلي ، ترجمة وتقديم وتعليق ، علي عبد المعطى محمد ، الناشر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (د . ط) ، ٢٠٠٠ .
٣٣. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص) ، احمد ابراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
٣٤. نقد الشعر، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ—)، تح، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط١ ١٩٤٨ م .

١. القيم الاخلاقية في الشعر العربي الجاهلي ، انتصار مهدي عبد الله ، رسالة دكتوراه ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٨ م .